

الوافي في الوفيات

سليمان بن داود بن سليمان بن عبد الحقّ الشيخ الإمام الفاضل الفقيه الأديب صدر الدين أبو الربيع ابن الشيخ ناصر الدين الحنفي سألته عن مولده فقالت : سنة سبع وتسعين وستّ مائة قرأ القرآن عَلاى الشيخ مبشّر الضرير وختمه وسمع الحديث من أشياخ عصره مثل الحجار ابن تيميّة والمزّي وغيرهم . وقرأ المنظومة عَلاى عمّه قاضي القضاة برهان الدين ابن عبد الحقّ الحنفي وحفظها . وأذن له في الإفتاء وأذن له أيضا القاضي جلال الدين ابن قاضي القضاة حسام الدين الحنفي ورأيتُ خطّهما بذلك . وقرأ أَلفيّة ابن معطي وحفظ النكت عَلاى الحسان في النحو وعرضها عَلاى مصدّفها شيخنا العلامة أثير الدين أبي حيّان وكتب له عَلايّهما بذلك وأجازه وعلّق عَلايّهما حواشي من أوّلها إلى آخرها بخطّه من كلام الشيخ . وبحث في الأصلين عَلاى الشيخ صفى الدين الهندي بدمشق وعَلاى الشيخ تاج الدين ابن السبّاك ببغداد . وقرأ تلخيص المفتاح عَلاى الخيلخاني ودخل بغداد سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة واجتمع بفضلائها وسافر إلى خراسان والريّ . وعاد إلى ماردين . ثمّ إنّه ردد إلى القاهرة ثانياً وكان قد دخلها أوّلاً مع عمّه قاضي القضاة برهان الدين ابن عبد الحقّ .

وكان يقرأ له الدرّوس في مدارسه وأذن له في الإفتاء وانفرد هو بتدريس الديليميّة في القاهرة وحضر درسه في أوّل يوم قاضي القضاة جلال الدين القزويني وبقية القضاة ودخل إلى اليمن سنة خمس وأربعين وسبع مائة بعدما ما حجّ واجتمع بصاحب اليمن . فأقبل عَلايّه إقبالا كثيرا وأنس به وأحسن إليه وفوض إليه نظر المغاص والخاص الحلال ونظر الأوقاف . ورأيتُ خطّ السلطان الملك المجاهد صاحب اليمن إليه في عدّة أوراق بآداب كثيرة ولطف زائد وخوّل له نعماً أثيلة . وباشر عندهم ثمّ إنّه تزوّج بابنه الوزير وحجّ صُحبةً الملك المجاهد صاحب اليمن في سنة إحدى وخمسين وسبع مائة . فجرت لهم تلك الأحوال عَلاى جبل عرفات ونهبوهم أخبرني قال : عُدّ لي في البرّ والبحر ما قيمته خمسة وعشرون ألف دينار .

ونظم الشعر جيّداً وجوّد المقاطع وتعدت معه فيهما التورية والاستخدام وصناعة البديع . وجوّد فنون الشعر من الموشّح والزجل والموليا وغير ذلك . وهو حسن الشكل تامّ القامة حلو الوجه رأيته غير مرّة واجتمعت به بالقاهرة ودمشق فرأيته لطيف الأخلاق جميل العشرة فيه مكارم وأريحيّة وكيس ودمانة وأنشدني من لفظه لنفسه كثيرا فمن ذلك قوله وهو ممّا أنشدني لنفسه بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة من الكامل :

أَيَّرِي كَبِيرُ وَالصَّغِيرُ يَقُولُ لِي ... إِطْعَنُ حَاشِيَةَ بِهِ وَكَئُنُ صَنَدِيدَا .
زَادَ يَتُّ هَذَا لَا يَجُوزُ فَقَالَ لِي ... عِنْدِي يَجُوزُ فَذِكَّتُهُ تَقْلِيدَا .
وَأَنشَدَنِي بِالشَّامِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِيعَ مِائَةِ مِنَ الطَّوِيلِ :

طَافَا نَيْلُ مِصْرَ حَيْنَ غَرَّاقَ أَهْلَهَا ... وَقَدَّ أَجْرَمُوا بِالفِعْلِ وَالْقَالِ وَالْقِيلِ .
وَيَدْعُو عَثْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبُّهُمْ ... وَيَحْشُرُهُمْ فِي النَّارِ زُرْقَاً مِنَ النَّيْلِ .

وَأَنشَدَنِي أَيْضاً مِنَ الْمُنْسَرِحِ :

عَشِيقَتُ يَحْيَى فَقَالَ لِي رَجُلٌ ... لَمَّ يُبِقِ فِيكَ الْفِرَاقُ مِنْ يُقْيَا .
تَعَشَّقُ يَحْيَى تَمُوتُ قَوْلَاتُ لَهُ ... طُوبَى لِمَنْ يَمُوتُ فِي يَحْيَى .
وَأَنشَدَنِي أَيْضاً مِنَ الطَّوِيلِ :

وَنَادِي دِمَشْقَ كَمْ يُنَادِي بِأَهْلِهِ ... أَلَا جَادِلُوا بِالشَّرِّ وَاهْوُوا لَهَا وَيَهْ .
حَكَى كَرَبَلَا يَوْمَ الْحُسَيْنِ وَلَمَّ يَزَلْ ... يَزِيدُ كِلَابًا وَالْكِلَابُ مُعَاوِيَةَ .
وَأَنشَدَنِي لَهُ أَيْضاً مِنَ الْبَسِيطِ :

قَالَ حَبِيبِي زُرْنِي وَلَكِنْ ... يَكُونُ فِي آخِرِ النَّهَارِ .
قَلتَ أُدَارِي الْوَرَى وَأَتِي ... لِأَيِّ دَارٍ فَقَالَ دَارِي .
وَأَنشَدَنِي أَيْضاً مِنَ الْخَفِيفِ :

طَالَ حَكَي وَعِنْدَمَا ... قُلْتُ خَذْهُ لِي وَقْتِهِ .
ضَرَطَ الْعِلَاقُ ضَرْطَةً ... دَخَلَ الْأَيْرُ فِي اسْتِهِ .
وَأَنشَدَنِي أَيْضاً مِنَ الْمَجْتَثِ :

سَمَوْتُ إِذْ كَلَّمْتَنِي ... سَلَامِي بِغَيْرِ رُؤْسَالِهِ .
وَقَالَ صَاحِبِي تَنبِيًّا ... وَكَلَّمْتَهُ الْغِزَالَهُ